العُسْرُ في التحديث

وأثره في إعلال المرويات

الباحث

د/ محمد مجدي عبد المجيد الصافوري

مدرس الحديث وعلومه

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

جامعة الأزهر

العسر في التحديث وأثره في إعلال المرويات

محمد مجدي عبد المجيد الصافوري
قسم الحديث وعلومه ، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: mohamedelsafoury86@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التنبيه إلى شدة عناية العلماء رضي الله عنهم بخدمة السنة المشرفة بكافة الوسائل الممكنة ، كما يهدف هذا البحث إلى لفت النظر إلى عناية العلماء بكل ما يعرض لعملية الرواية من عوارض قد تؤثر في نقل النصوص الشريفة، وينبه هذا البحث على دقة علماء الحديث رضي الله عنهم في تفحص أحوال الرواة وبيان أسبابها ومدى تأثيرها في المروي ومن ضمن هذه الأحوال العسر الذي يصيب الراوي، كما يهدف البحث إلى بيان أسباب العسر وأنواعه ، ويهدف البحث إلى التفرقة بين نوعي العسر المطلق والنسبي وأن التفرقة بينهما ضرورية وهامة حتى لا يوصف الراوي بما ليس فيه من عيب ، كما يهدف البحث إلى بيان أثر العسر في إعلال المرويات الحديثية عن الرواة الذين وصفوا بهذا الأمر .

وقد استعملت في هذا البحث منهجين : الأول : المنهج الاستقرائي ؛ فاستقرأت تراجم الرواة الذين وصفوا بالعسر وأحوالهم ، المنهج الثاني التحليلي : واستطعت من خلال الاطلاع على تراجم هؤلاء الرواة وتحليل ما فيها من أخبارهم ومعرفة أقوال الأئمة فيهم الوقوف على أثر العسر في إعلال المرويات . وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها أن العسر في التحديث من القرائن التي تقوي احتمالية وقوع العلة في الحديث ، وأن العسر له نوعان تم التمييز بينهما ومعرفة كل واحد منهما ليقف العالم على حقيقة وصف الراوي بالعسر وتمييز من وصف بذلك لسبب عارض ومن كان العسر فيه صفة متأصلة .

الكلمات المفتاحية: العسر، الامتناع، إعلال، المرويات.

Difficulty in the narration of hadith and its impact on the interpretation of the narrations

Muhammad Majdy Abdul-Majid El-Safouri
Department of Hadith studies, School of Theology and Islamic Calling, Al-Azhar University, Tanta Branch, Egypt.
Email: mohamedelsafoury86@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to draw attention to the attention of scholars, may God be pleased with them, in serving the honorable Sunnah by all possible means. May God be pleased with them in examining the conditions of the narrators and explaining their causes and the extent of their impact on the narrator, among these hardship conditions that befall the narrator. There is nothing wrong with it, and the research aims to explain the effect of hardship in explaining the hadith narrations about the narrators who described this matter.

Two approaches have been used in this research: the first: the inductive approach; So I studied the biographers of the narrators who were described with hardship and their conditions, the second analytical approach: By looking at the biography of these narrators and analyzing what they contained of their news and knowing the sayings of the imams about them, I was able to identify the impact of hardship in explaining the narrations.

The most important findings that I reached were that hardship in modernization is one of the clues that strengthen the possibility of a defect in hadith, and that hardship has two types that have been distinguished between them and knowing each one of them so that the scholar will stand on the truth of the narrator's description of hardship and distinguish those who describe that for an accidental reason and who has hardship as an inherent characteristic

Keywords: Hardship , Abstinence , Ilal , Narrations.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد :

فإن الله تعالى قيض للسنة المطهرة حراسا قاموا على حفظ حوزتها من أيدي العابثين ، فصانوها حتى بلغوها لمن بعدهم قياما بالأمر النبوي الشريف " نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع.."[1] وقوله صلى الله عليه وآله " بلغوا عني .."[2] ، وكان من جملة ما تنبه إليه هؤلاء الأكارم – إتماما لواجب الحفظ وأمانة الصيانة – أحوالَ الرواة وما يعرض لهم من عوارض تؤثر على عملية الرواية ، وقد بلغوا في ذلك دقة عجب لها الزمان ، وكل هذا من إمداد الله تعالى لهم وتوفيقه الظاهر ، ومن جملة هذه العوارض التي رصدها العلماء من أحوال الرواة " العُسْرُ في

---

١ – أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/٣٤) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضا في الباب نفسه ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه (٤/٣٣٠) وقال :حديث حسن .

٢ – جزء من حديث أخرجه البخاري ك احاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧٠١٤.

التحديث " ، ولما كان هذا العسر أمرا طارئا يخالف ما عهد من سير أهل العلم ، كان تنبه العلماء له ضرورة ، ووقوفهم على هذه الظاهرة ومحاولة تفسيرها ومعرفة أسبابها وآثارها أمرا في غاية الأهمية ، وذلك منهم حفظا للحديث الشريف لئلا يدخل فيه ما ليس منه أو ينسب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقل .

وقد وفقني الله تعالى لبحث هذه القضية من جهة تعريف هذه الظاهرة ومعرفة أسباب ظهورها ، ثم دراسة آثارها في إعلال المرويات .

ذلك أن العلة أمر خفي قادح في صحة الحديث ، وهي تقع في أحاديث يبدو على ظاهرها السلامة منها ، وسلامة الحديث من العلة شرط من شروط الصحة كما هو معلوم ومقرر ، وقد ثبت أن العلة تقع في حديث الراوي من وجوه مدركها صعب ، تحتاج إلى اليقظة والتنبه ، وكان من جملة المؤثرات في الحديث إعلالا وتصحيحا سلوك الراوي وعاداته ، ومن هذه العادات التي تنبه إلى غرابتها العلماء "العسر في التحديث" ، فكان البحث عن أثر هذا العسر في إعلال الأحاديث أمرا هاما لصيانة السنة ومعرفة صحة من وصف بالعسر في الحديث .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم العسر.

المبحث الثاني : أنواع العسر.

المبحث الثالث : أسباب ينشأ عنها العسر في التحديث .

المبحث الرابع: أثر العسر في إعلال المرويات .

ثم الخاتمة والتوصيات والفهارس .

منهج البحث:

- استعملت في هذا البحث منهجين : الأول : المنهج الاستقرائي ؛ استقرأت تراجم الرواة الذين وصفوا بالعسر وأحوالهم ، المنهج الثاني التحليلي : واستطعت من خلال الاطلاع على تراجم هؤلاء الرواة وتحليل ما فيها من أخبارهم ومعرفة أقوال الأئمة فيهم الوقوف على أثر العسر في إعلال المرويات .
- لم أترجم للرواة محل الاستشهاد لأن هذا خارج عن محل البحث ولم أشأ أن أكثر به صفحات البحث ، بل ذكرت من تراجمهم محل الشاهد فيما يتعلق بقضية العسر .
- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه ، لأن العزو إليهما أو أحدهما معلم بالصحة ، وإذا وجدت حكما لأحد من الأئمة على حديث ذكرته واكتفيت بنقل حكمه فلأحكام الأئمة وجاهتها وثقلها العلمي ، وإلا حكمت على الأحاديث بدراسة أسانيدها وتحرير وجوهها المعلولة من الصحيحة إذا اقتضى الأمر ذلك ، وتحاشيت ذكر الأحاديث الموضوعة .

أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في خدمة السنة النبوية المشرفة .
- التنبيه إلى عظم قدر الأئمة رضي الله عنهم وشدة انتباهم وصيانتهم للحديث.

- الرغبة في بحث وبيان أثر العسر في إعلال المرويات .
- إبراز الحاجة الماسة إلى قراءة كتب التراجم واستخراج دررها وكنوزها
- إبراز الحاجة إلى التدقيق في أحوال الرواة وعاداتهم وأثر ذلك على الرواية.

الدراسات السابقة :

وقفت خلال بحثي على عدد قليل من الدراسات السابقة التي تناولت هذه الظاهرة بالدراسة والتعريف ، بيد أن أحدا من هذه الدراسات لم يتناول ظاهرة العسر وأثرها في إعلال المرويات ، وهو الغرض الأساسي من هذا البحث .

الدراسة الأولى : مقالة منشورة في مجلة الثقافة الجزائرية كتبتها الدكتورة عالية سليمان العطروز عدد سنة ٢٠١٨ ، عرفت العسر وذكرت قبسا يسيرا من أسبابه ولم تتعرض لبيان أثره في الإعلال.

الدراسة الثانية : التعسّرُ في الرواية عند المحدّثين مفهومه ونشأته وأسبابه وآثاره ، د. سعيد محمد علي بواعنة ، نشرته المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١١)، ع (١)، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م

وقد اعتنى هذا البحث بتعريف العسر وبيان أسبابه وبعض آثاره في الرواية بشكل عام... لكنه لم يتعرض لبيان أثره في إعلال المرويات .

وبحث بعنوان العسر عند المحدثين أقسامه وأسبابه للدكتور بدر ابن محمد العماش وهو منشور في مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ,العدد (٤٦) محرم ١٤٣٠هـ ، وقد جمع فيه أسماء جماعة ممن وصفوا بالعسر ، لكنه لم يتعرض لبيان أثر العسر في إعلال المرويات.

المبحث الأول
مفهوم العسر

العسر في اللغة :

قال ابن فارس : (عسر) العين والسين والراء أصلٌ صحيحٌ واحد يدلُّ على صُعوبةٍ وشِدّة. فالعُسْر: نقيض اليُسْر. والإقلال أيْضاً عُسْرةٌ، لأنَّ الأمر ضيّق عليه شديد. قال الله تعالى: {وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} [البقرة ٢٨٠][1]. والعَسَر: الخلاف والالتواء.

قال الفيروز آبادي : العُسْرُ بالضم وبضمتينِ وبالتحريك : ضِدُّ اليُسْرِ كالمَعْسُورِ. ويومٌ عَسِرٌ وعَسِيرٌ وأعْسَرُ: شَدِيدٌ أو شُؤْمٌ. وحاجةٌ عَسِرٌ وعَسِيرٌ: مُتَعَسِّرَةٌ . وتَعَسَّرَ عليَّ الأمرُ وتَعاسَرَ واسْتَعْسَرَ: اشْتَدَّ والْتَوَى.[2]وقال الخليل: والعُسْرُ نقيض اليُسْر والعُسْرُ خلافٌ والتواءٌ[3] ، وقال ابن منظور: وهو الضّيق والشدَّة والصعوبة[4].

يستفاد من سياق كلام أئمة اللغة حول معنى العسر أن له معانٍ ثلاثة :

الأول : الشدة والصعوبة ، الثاني : الإقلال ، الثالث: الخلاف والالتواء .

هذه المعاني الثلاثة متحققة في المعنى الاصطلاحي لمفهوم العسر في

---

١ – معجم مقاييس اللغة ٣١٩١٤ .

٢ – القاموس المحيط (ص: ٥٦٤) .

٣ – كتاب العين (١/ ٣٢٦) .

٤ – لسان العرب (٤/ ٥٦٣) .

التحديث.

المعنى الاصطلاحي :

لم أقف على من عرف العسر في التحديث كمصطلح خاص من قبل ، إلا أني وجدت مقالة نشرت على شبكة الانترنت للدكتورة عالية العطروز في موقع مجلة الثقافة[1] عرفت فيها الدكتورة مفهوم العسر في الرواية بقولها : تشدد المحدث في التحديث، أو امتناعه كليا عن الأداء، إلا في ظروف خاصة جدا، أو ضمن شروط معينة؛ كأن يحدد أحدهم لمن سيروي، أو عددا معينا من الأحاديث كي يرويها، مما يزيد في صعوبة قدرة طلبة الحديث على الاستفادة من أحاديث هذا المحدث، فتقل عنه المرويات، وقد لا تذكر أبدا.

وفي الحقيقة هذا التعريف فيه إسهاب شديد في ذكر تفاصيل أحوال العسر وصوره وهذا يخالف مبنى التعاريف ، لأن التعاريف الأصل فيها الاقتصار على ما يدل على الماهية دون الولوج إلى الأعراض والأوصاف .

ويرى الباحث أن التعريف الأنسب للعسر في التحديث هو: حالة تنتاب الراوي تحمله على قلة التحديث.

ذلك أن الأصل في الراوي أنه تحمل الحديث ليؤديه لغيره وهذه هي أمانة النقل التي حملها أهل الحديث وشرفوا بها ، ومخالفة هذا الأصل إلى غيره لا يكون إلا بأسباب ، وذكر الأسباب لا يكون في التعاريف والحدود إذ هي متعلقة ببيان الماهية .

---

١ - https://thakafamag.com/?p=19567

المبحث الثاني أنواع العسر

من خلال استقراء صور العسر وأحوال الرواة الذين اتصفوا بهذا الوصف نستطيع أن نقول: إن هناك نوعين من العسر :

النوع الأول : عسر دائم ملازم للراوي أو عسر مطلق:

بأن يكون هذا العسر هو المعهود الدائم على هذا الراوي ، اشتهر به وغلب عليه حتى عرف به، ولا يخالف معهوده هذا إلى سلوك آخر ، لا بتغير التلاميذ أو الأماكن ، مهما كثر الإلحاح عليه .

والمتتبع سير أهل العلم الذين وصفوا بهذا الأمر يجد أنهم – أي الذين يصح فيهم وصف العسر الدائم والتشدد – قلة قليلة في المحدثين .

النوع الثاني : عسر مؤقت أو عسر نسبي :

وهو أن يمتنع الراوي عن التحديث في زمن معين أو حال معين أو بلد معين أو لسبب معين عارض ، يزول هذا الامتناع بزوال السبب .

كأن يضجره طلاب العلم فيمتنع من تحديثهم فترة كما وقع ذلك مع عدد من الأئمة كسعيد بن جبير وغيره، فعَنْ أَيُّوبَ قَالَ اسْتَعَدْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ حَدِيثًا فَقَالَ لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أُحْلَبُ فَأُشْرِبُ[1] ، وروى حَفْص بن غياث قَالَ :سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ : رَدَدْتُمُوهُ عَلَيَّ حَتَّى صَارَ فِي فَمِي أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ

---

١ – أدب الإملاء والاستملاء (ص: ٨٢)

وروى الخطيب في جامعه عَنْ هُشَيْمٍ، قَالَ: «كَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى سَاءَ خُلُقُهُ»[1] .

وهذا النوع هو الغالب على من وصف بهذا الأمر ، والمتأمل في أحوالهم يجد أن غالب تمنع الأئمة كان وراءه دافع وسبب ، وسيتبين ذلك في الحديث عن أسباب العسر في التحديث.

١ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢١٨)

المبحث الثالث
أسباب ينشأ عنها العسر في التحديث

العسر سلوك ، والسلوك لا بد له من محفزات أو دوافع لكي يظهر ، وللعسر والتشدد في التحديث أسباب ينشأ عنها وبواعث تحفز ظهوره، وليست بالضرورة أسبابًا مباشرة له ، بل القصد أن نظهر محفزات ظهور العسر عند الراوي أو العوامل التي تساعد على ظهور العسر عند الراوي، كما ينبغي التنبيه أن هذه الأسباب قد توجد عند البعض ولا يظهر العسر كأثر لها في حديث الراوي، ولكن من ظهر العسر في حديثه لا يعدو هذه الأسباب ولا يخرج عنها .

هذه الأسباب يرجع بعضها إلى نفس الراوي ، وبعضها إلى البيئة المحيطة ، وبعضها يرجع إلى مفاهيم معينة عند الراوي متعلقة بالتحديث .

السبب الأول: الإقلال من التحديث ديانة :

كان بعض أهل العلم رضي الله عنهم يتشدد في التحديث إجلالا للسنة المطهرة وتعظيما لقدرها ، وذلك خوفا من الله تعالى أن يخطئ في شيء من الرواية ، فتمنعه مخافة الكذب في الحديث على التشدد فيه والإقلال من الرواية، وكان هذا أمرا ملازما لهم ، فلم يؤثر عنهم إلا القليل من الأحاديث، وأصل هذا الباب ما روي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "يا أيها الناسُ، إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال

علىَّ فلا يقلْ إلا حقّا- أو صدقا – ومن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"[1].

ولهذا السبب – الخوف من الخطأ – خشي حواريّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه الإكثار من التحديث: فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث فلانٌ وفلان. قال: أمَا إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول "من كذب عليَّ (زاد في بعض الروايات: متعمداً) فليتبوَّأ مقعده من النار"[2].

قال الحافظ ابن حجر: "في تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطئ، وإن كان غير مأثوم بالإجماع؛ لكن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر، لأنه، وإن لم يأثم بالخطأ؛ لكن قد يأثم بالإكثار، إذ الإكثار مظنَّة الخطأ، والثقة إذا حدث بالخطأ فحُمل عنه وهو لا يشعر أنه أخطأ يُعْمَلُ به عَلى الدوام؛ للوثوق بنقله، فيكون سببا للعمل بما لم يقله الشارع."[3]

---

١ – أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن افتتاح كتاب الايمان والفضائل باب التغليظ في تعمد الكذب على سيدنا رسول الله ﷺ ١٤١١ . وقال صاحب المصباح : إسناده ضعيف ، وله شواهد كثيرة منها حديث الزبير الذي ورد عقبه وهو عند البخاري .

٢ – أخرجه البخاري ك العلم باب إثم من كذب على سيدنا النبي ﷺ ٣٣١١ .

٣ – فتح الباري ٢٠١١١ .

فمن خشي من الإكثار الوقوعَ في الخطأ لا يُؤْمَنُ عليه الإثم إذا تعمد الإكثار. فمن ثَمَّ توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث ، وأما مَنْ أكثر منهم فمحمولٌ على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، أو طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم، فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان رضي الله عنهم .

فكان الإقلال من التحديث سمتا ملازما لهم ، تخشعا وتدينا مخافة الوقوع في الكذب على سيدنا رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ما رواه الذهبي في ترجمة الحسن بن المثنَّى بن معاذ ابن معاذ أبو محمد العنبري البصري.

من نبلاء الثقات، وكان ورعًا عابدًا يمتنع عن الرواية، ثم أُمر في النوم بالرواية. وقال أيضًا: شيخ نبيل من بيت العلم والحديث، وكان دينًا ورعًا لم يزل ممتنعًا من الرواية حتى أمر في النوم بالتحديث فحدث في أواخر عمره.[1] ، فنشأ من تدينهم بترك التحديث لون من ألوان العسر .

ومن ذلك أيضا : امتناعهم عن الرواية لاعتقادهم أن الكفاية حاصلة برواية غيرهم من أهل العلم وتصدرهم للحديث ، وفي هذا الخُلُق أمارة التواضع والديانة والحرص على ما ينفع الناس دون الالتفات لحظوظ النفس وملذات التصدر .

فعن سعد بن مسعود قال: قيل لرجلٍ من أصحاب النبي صلى الله

---

١ – سير أعلام النبلاء ٥٢٧\١١٣ . تاريخ الإسلام ٩٢٤\١٦ .

عليه وآله وسلم :مالك لا تحدِّث كما يحدث فلان وفلاَن؟ فقال: "ما بي أن لا أكون سمعت مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكن لم يَدْرُس الأمر بعدُ، والناس متماسكون، فأنا أجد من يكفيني، وأكره التزيُّد والنقصان في حديث رسول الله ﷺ"[1].

وروى الخطيب عن يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، يَقُولُ: «إِنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ بِالْبَلْدَةِ وَبِهَا مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالتَّحْدِيثِ مِنْهُ أَحْمَقُ«٢ ، وروى الخطيب أن سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قال لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: مَالَكَ لَا تُحَدِّثُ؟ فَقَالَ: أَمَا وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا.٣ ، وقد حدث سفيان بن عيينة بالكثير وهو من أعمدة الرواية ، وما قاله هذا لا يدخل في مفهوم العسر ، لكن سبب إيراد المثال إظهار انعكاس هذا المفهوم في أذهان الأئمة رضي الله عنهم وبيان أن ترك التحديث لوجود الكفاية بغيره كان سببا من أسباب وجود العسر في الرواية ؛ إذ كانوا يسألون التحديث فيمتنعوا، وحدا ذلك ببعضهم للإقلال الشديد من الرواية بشكل دائم حتى صار هذا هو أصل حاله .

السبب الثاني : الطبيعة النفسانية للراوي وأثرها في عسره في التحديث :

خلق الله تعالى الخلق وجعلهم متفاوتين في طبائعهم ، فمنهم السهل الهين اللين، ومنهم الغليظ الشديد ، ومن أسباب التشدد في الرواية أن يكون

---

١ – الكفاية ص ١٧١ .

٢ – الجامع ١ ٣١٩١ .

٣ – الجامع ٣١٨١١ .

الراوي في أصل طبعه عسرا شديدا غليظا في نفسه ، ورغم أن للسنة بركتها وأثرها الطيب في تهذيب الطباع وتغيير النفوس وتبديل الأحوال ، إلا أن بعض الناس تغلبهم طباعهم ولا يستطيعون دفع ما جُبِلُوا عليه ، فينشأ العسر ويظهر من طبيعتهم النفسانية التي هي في أصلها جبلّيّة .

أو أن يكون العسر فيهم ناشئا عن عارض معين أصابهم فأثر في أخلاقهم وبدلها ، كأن يصاب بعاهة أو فقد ولد أو نحو ذلك ، فيؤثر ذلك على أحوالهم ويتشددوا في التحديث فيوصفوا بالعسر في الرواية .

ومن هؤلاء :" أبو محمد السيدي هبة الله ابن سهل بن عمر ابن أبي عمر محمد بن الحسين البسطامي المعروف بالسيدي من أهل نيسابور ختن أبي المعالي الجويني على ابنته كان من بيت العلم وهو في نفسه فقيه عالم خير كثير العبادة والتهجد ولكن كان عسر الخلق بسر الوجه لا يشتهي الرواية ولا يحب أصحاب الحديث وكنا نقرأ عليه بجهد جهيد وبالشفاعات[١].

وترجم السمعاني " للسيد أبو العز الحسن بن الهادي بن الحسن العلوي من أهل أصبهان كان علويا مسنا جليل القدر سمع أبا مسلم محمد ابن علي بن مهريزد الأديب وأم الحسن عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية وغيرهما كان شيخا عسر الخلق نكدا غير راغب في الخير اتفق إني قرأت عليه ورقة من حديث أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ عن أبي مسلم ابن مهريزد عنه ثم سألني جماعة أن أحضر معهم داره لقراءة شيء من الحديث

---

١ – التحبير في المعجم الكبير (٢/ ٣٥٦) والتقييد لمعرفة رواة المسانيد ٤٧٦

فامتنعت وكرهت فألحوا علي فوافقتهم فلما دخلنا داره زعق وقال أخرجوا من داري ولم دخلتم داري .. " [١]

وفي ترجمة عبد الصمد بن يوسف، أبو محمد البزَّاز ، نقل ابن قطلوبغا عن ابن النجار: حدث ببيسير، سمع منه بعضُ أصحابنا واستجاز لنا منه، وقصدناه غير مرة نسمع منه فاختفى منا ، وكان عَسِرَ الأخلاق، قليل المخالطة للناس .٢

بيد أن هناك من لم تمنعه هذه الطبيعة العسرة من أن يحدث الناس ، ولم يكف الناس عن مداراته وطلب الحديث منه ، كما كان حال نافع مولى ابن عمر رحمه الله تعالى ، فقد ذكر الذهبي عن مالك بن أنس قال : كان في نافع حدة ، ثم حكى أنه كان يلاطفه ويداريه ، وعن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال : كنا نختلف إلى نافع وكان سيئ الخلق فقلت : ما أصنع بهذا العبد ؟ فتركته ولزمه غيري فانتفع به .[٣] .

قال الخطيب رحمه الله تعالى: فَإِذَا كَانَ الْمُحَدِّثُ مِمَّنْ يَتَمَنَّعُ بِالرِّوَايَةِ، وَيَتَعَسَّرُ فِي التَّحْدِيثِ، فَيَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يُلَاطِفَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيَرْفُقَ بِهِ وَيُخَاطِبَهُ بِالسُّؤْدَدِ، وَالتَّقْدِيَةِ، وَيُدِيمُ الدُّعَاءَ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ إِلَى بُلُوغِ أَغْرَاضِهِ مِنْهُ٤.

---

١ – التحبير في المعجم الكبير (١/ ٢١٩)

٢ – الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٦/ ٣٦٥)

٣ – تاريخ الإسلام ٣٢٨١٣ .

٤ – الجامع ٢٠٨١١ .

السبب الرابع : أن يكون ضعف الراوي دافعا لامتناعه وعسره رغبةً في ستر ما فيه من ضعف :

يعرف حال الراوي من خلال مقارنة حديثه بأحاديث الثقات ، فإن وافقهم فهو ثقة ، وإن خالفهم أو تفرد عنهم – ولم يكن أهلا ليقبل تفرده – فليس بثقة ، وقد يمتنع الراوي من التحديث رغبة في ستر حاله وتعمية شأنه على العلماء ، إذ قلة الحديث تقلل من المقارنة بينه وبين الثقات ، فيقل بذلك مجال التصحيح والتضعيف في حديثه ، رُوي عن ابن مهدي أنه كان يقول: يغطي عيوب الشيخ ثلاثة أشياء: عسرته، وحفظه، وبعد منزله.[1]

والناظر في تراجم بعض من وصفوا بالعسر في التحديث يجد أن بعضهم وصف بالضعف مع العسر ، ولعل مدخل ذلك ألا تكون رواياته عن شيوخه وسماعاته منهم صحيحة ، وهو يعلم حرص المحدثين على عملية النقد والتيقن من سلامة ما يسمعون ، فربما حمل ذلك بعض الرواة على التعسر قصدا بغية ستر ما عندهم .

السبب الخامس : أن يكون العسر ناشئا من رغبة الراوي في إيهام الطلاب بتفرده بما لم يشاركه فيه أحد ليكثر فيه الطمع ويحرص الطلاب على سماعه أو ليكثر الطلاب ملازمته :

الإنسان يستشرف معرفة ما غاب عنه والإحاطة به ، وكلما ضن الشيخ بما عنده كان ذلك أوقع في نفس الطالب أن يظن أن في رحل الشيخ

---

١ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي(١/٢٠٥)

ما ليس عند غيره من الشيوخ ، وقد روى الخطيب في جامعه عن شعبة قوله:" تمنع أشهى لك "[١] . وفي ترجمة محمد بن علي بن عياش أبو بكر الدباس ، نقل ابن حجر عن السلفي قوله : وقال لي أبو عامر العبدري: هو كذاب ومع ذلك يتمنع ليكون أشهى.[٢]

وفي ترجمة الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فَهُم –بفتح الفاء، وضم الهاء– قال فيه الخطيب: ثقة عسر في الرواية متمنع إلا لمن أكثر ملازمته. [٣]

السبب السادس : أن يكون العسر ناشئا من الحرص على أخذ الأجرة مقابل التحديث :

أجاز جمهور المحدثين أخذ الأجرة على التحديث ، ومستند القول بهذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله"[٤]، فتعفف قوم عن التكسّب بالحديث ، واضطر قوم آخرون له ، فكان التحديث مصدر رزقهم وقوت عيالهم ، فحملهم هذا على ألا يحدثوا إلا من بذل لهم المال مقابل السماع ، ولما كان عامة المحدثين يحدثون دون مقابل وكان البعض يتمنع مالم يبذل له مال ، وصف هولاء المتمنّعون بالعسر في

---

١ – المصدر السابق ٢٠٥١١.

٢ – لسان الميزان ٣٦٣١٧.

٣ – انظر: تاريخ بغداد ٩٢/٨. والعبر للذهبي ٨٣/٥. وميزان الاعتدال ٥٤٥/١) .

٤ – أخرجه البخاري ك الطب باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم ١٣١١٧ .

التحديث ، وذلك إنما نشأ من حاجتهم المادية التي فرضت عليهم التكسب بالحديث .

ومن أمثال هولاء ابن كامل * الشيخ المسند أبو الفتوح يوسف ابن المحدث أبي بكر المبارك بن كامل بن أبي غالب البغدادي الخفاف المقرئ لكتاب الله، ولا يعرف شيئا من الفقه، عسر في الرواية، سئ الخلق، متبرم بالسماع، كنا نلقى منه شدة، وكان فقيرا مدقعا، وكان من فقهاء النظامية، وكان يأخذ على الرواية.[1]

وقد سئل محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، سأله ابن فطيس : أصلحك الله، العالم يأخذ على قراءة العلم؟ فقال : جائز، عافاك الله، حلال أن لا أقرأ لك ورقة إلا بدرهم، ومن أخَذَني أنْ أقعد معك طُول النهار، وأدعَ ما يلزمني من أسبابي، ونفقة عيالي؟! وقد علق الذهبي: "هذا الذي قاله ابن عبد الحكم متوجه في حق متسبب يفوته الكسب والاحتراف لتعوقه بالرواية، لما قال علي ابن بيان الرزَّاز الذي تفرد بعلو جزء ابن عرفة، فكان يطلب على تسميعه دينارا: أنتم إنما تطلبون مني العلو، وإلا فاسمعوا الجزء من أصحابي؛ ففي الدرب جماعة سمعوه مني، (قال الذهبي): فإنْ كان الشيخ عسرًا، ثقيلا، لا شغل له، وهو غنيٌ فلا يعطى شيئا، والله الموفق[2].

---

١ – سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤١٧)

٢ – المصدر السابق ٢٢١١٢.

الامتناع عن رواية الحديث والخلط بينه وبين العسر في التحديث :

أود أن أشير أن هناك فارقا واضحا بين مفهوم العسر المطلق والعسر النسبي ، والخلط بين المفهومين أدى للتوسع في إطلاق وصف العسر على عدد من الرواة دون تمييز بين من كان عسرهم مطلقا ومن كان عسرهم نسبيا ، وإنما الذي وقع منهم كان صورة من صور الامتناع عن التحديث لأسباب تكون في غالب الأحيان وجيهة ومنطقية ، ولا يصح وصف الراوي الذي امتنع لمثل هذه الأسباب بعسر التحديث مطلقا.

كما أن من شأن توسيع تطبيق مفهوم العسر بشكل زائد عن الحد أن يفسد المفهوم ذاته ، وبالتالي يفسد ما سيق لأجله هذا البحث وهو الأثر في التعليل ، ذلك أن المفهوم إذا اتسع تطبيقه فسد بحيث دخل فيه ما ليس منه وبَطَلَ الاستدلال به واستعماله كقرينة من قرائن التعليل، وبالتالي فإن إدخال ماليس من مفردات هذا المفهوم بداخله يبطل عملية الاستدلال به كليةً ويفسد المفهوم ذاته

ورغم أن كلام الأئمة جرى على استعمال لفظ العسر في وصف كلا الحالين ؛ سواء كان العسر دائما ملازما لحال الراوي ، أو كان عسرا مؤقتا لأسباب عارضة ، وكلام الأئمة هو الأصل، إلا أننا نقول: إن امتناع راوٍ عن تحديث أهل البدع مثلا لا يجعله عسرا في التحديث ، إذ هو لم يمنع أصالة أهل الحديث الذين هم محل العلم وأهل وراثته ، وإن عنايته بتحديث أهل الحديث يبطل إدخاله في مفهوم العسر وتحقق هذا الوصف فيه .

وعلى هذا فإن إطلاق العسر لابد أن يقيد بما بيناه في أنواع العسر ؛ فمن كان عسره دائما استعمل معه هذا الوصف العسر المطلق أو الدائم ، ومن كان عسره عارضا استعمل معه هذا الوصف : العسر المؤقت أو العسر العارض أو النسبي ليتميز كل منهم عن الآخر ولا تختلط الأمور .

وتفريعا على ما سبق فإن امتناع المحدث في وقت معين أو مكان معين أو مع قوم معينين من تحديثهم لا يجعله عسرا في التحديث بإطلاق ، أو لا يجعل تحققه بوصف العسر في التحديث دقيقا ، لا سيما إن كان حديث هذا الراوي الموصوف بالعسر يملأ الكتب ، وقد ذكر العلماء صورا في كتبهم حكوا فيها امتناع بعض العلماء من تحديث بعض الناس أو امتناعهم من تحديث أهل بلد معين .. إلخ ، وحتى لا ندخل في خلاف المصطلحات ، فعلى الحقيقة ما وصفوه بالعسر لا يتحقق فيه مفهوم العسر المطلق ، إنما هو عسر نسبي بالنسبة لبلد معين أو طائفة معينة ، ويرى الباحث أن الأولى أن يميز هذا اللون من العسر بكلمة " النسبي " كي تحدث المفارقة بينه وبين العسر المطلق ، فيصير العسر دون تقييد علما على ماكان سلوكا ملازما للراوي ينتج عنه قلة حديثه على الدوام ، وهو بذلك يفارق العسر النسبي الذي يعرض لبعض الرواة فيحملهم على ترك التحديث لأسباب مختلفة .

فليس من الإعسار المطلق في شيء ما روي من تشددهم في التحديث ديانة دون أن يكون ذلك بشكل دائم ، كأن يكون تمنعا لأن المحدث لم ير في طالبي السماع إجلالا للحديث الشريف ، ومن ذلك ما فعله الفضيل بن عياض رحمه الله ، فقد روى الخطيب في جامعه عن هارون بن سوار المقرئ، قال:

سمعت الفضيل بن عياض وقيل له: ألا تحدثنا تؤجر قال: على أي شيء أؤجر؟ على شيء تتفكهون به في المجالس"١.

فدفعه إجلاله للسنة المطهرة لترك تحديثهم ؛ إجلالا للسنة أن تكون مادة تفكه وتفاخر في مجالس القوم ، ومثل ذلك فعل ابن المبارك حين أتاه ابْنُ وَالِي خُرَاسَانَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُحَدِّثْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِلَى بَابِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَأَلْتُكَ أَنْ تُحَدِّثَنِي فَلَمْ تُحَدِّثْنِي، وَخَرَجْتَ مَعِي إِلَى بَابِ الدَّارِ، فَقَالَ: « أَمَّا نَفْسِي فَأَهَنْتُهَا لَكَ، وَأَمَّا حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أُجِلُّهُ عَنْكَ« ٢ ، فلم يستطب ابن المبارك أن يحدث ابن الوالي مع أنه جاءه في بيته قاصدا السماع منه ، لكن إجلال مقام السنة الشريفة وتعظيمها كان أعظم في نفس ابن المبارك من كل شيء ، والأصل أن يأتي مجلس السماع وأن يبذل نفسه في سماع حديث سيدنا رسول الله ﷺ ، لا أن يترفع عن مجالسة الطلاب في مجالسهم ، ولذا كان ابن المبارك رضي الله عنه أشد إجلالا للسنة منه لابن الوالي .

وهذه الصور لا إعسار فيها فقد ملأ حديث ابن المبارك الآفاق ، وحمل عنه طلاب الحديث الكثير من المرويات ، ولذا فإن وصف مثل هذا التصرف بالعسر بإطلاق فيه تجنٍ شديد على المحدثين وليس من الإعسار أيضا من

---

١ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ ٣٣٨ .

٢ – المصدر السابق ٣٣٦١١ .

امتنع من التحديث لغياب الحرص على الحديث :

فإن حظوظ العلماء تتفاوت في طلابهم ومدى حرصهم على التعلم ، وقد يبتلى العالم بطلاب سوء يضيعوه فلا يحفظوا له قدرا ولا يرفعوا له ذكرا ، أو يكونون قليلي الاعتناء بالرواية ، أو أن لا يجد المحدث أهلا لحديثه فيضن بما عنده ، وقد حفظ هذا السلوك عن جماعة من العلماء كلما وافاهم من لا يرون فيه أهلية التحمل أو لم يروا فيه الحرص الكافي والانتباه اللازم لتحمل الحديث حفظوا حديثهم أن يذهب سدى في سوق من لا يحسن معرفة قدره أو ثمنه ، روى الخطيب عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ ثَمَنًا، قَالُوا: وَمَا ثَمَنُهُ؟ قَالَ: أَنْ يُوضَعَ عِنْدَ مَنْ يُحْسِنُ حِفْظَهُ وَلَا يُضَيِّعُهُ ، وروى بإسناده عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: لَا تُطْعِمْ طَعَامَكَ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ، أَيْ: لَا تُحَدِّثْ بِالْحَدِيثِ مَنْ لَا يُرِيدُهُ ، وبإسناده عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: «إِنَّ مِنَ إِضَاعَةِ الْعِلْمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ« [1] .

ولذا رفض الأئمة أن يحدثوا من ليس أهلا للتحمل والرواية روى أَبُوسُفْيَانَ الْحِمْيَرِيُّ، قَالَ: قَدِمَ الْأَعْمَشُ السَّوَادَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ فَأَبَى فَقِيلَ لَهُ: لَوْ حَدَّثْتَهُمْ، قَالَ: وَمَنْ يُعَلِّقُ الدُّرَّ عَلَى الْخَنَازِيرِ [2].

وقد كان الأئمة رضي الله عنهم يتدينون لله تعالى بهذا الأمر حفظا للسنة ، ومنعا لأن يعبث بها من ليس من أهلها أو يجترأ عليها من لا حظ

---

١ – الجامع ٣٢٧\١١.

٢ – السابق ٣٢٩\١١ .

له في العلم ، روى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة «إِنِّي لَأَحْتَسِبُ فِي مَنْعِي الْحَدِيثَ كَمَا تَحْتَسِبُونَ فِي بَذْلِهِ» [1]

ولذا كان من هديهم رحمهم الله تعالى ألا يحدثوا الناس ابتداءً ، بل لا يحدثون إلا من جاء قاصدا الحديث ، باذلا لأجله ما يستطيع ، حريصا على العلم ، كانوا يدركون جلالة ما يحملون في صدورهم فلم يبذلوا علمهم رخيصا، يغارون على الحديث غيرتهم على أعراضهم .

روى الخطيب عن مغيرة قَالَ» كَانَ إِبْرَاهِيمُ لَا يُحَدِّثُ حَتَّى يُسْأَلَ ، وروي أيضًا عن أمية بن شبل ، قال:" قدم علينا ابن طاوس، فجلس فقال له إنسان: ألا تحدثنا، فقال: إن سألتموني عن شيء ذكرته، وإلا فأهدر عليكم".

وكان مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ:"مِنْ إِهَانَةِ الْعِلْمِ أَنْ تُحَدِّثَ كُلَّ مَنْ سَأَلَكَ" .

كَانَ سُفْيَانُ إِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّبَطَ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، قَالَ فَقُلْتُ: لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ نَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ يَشْتَدُّ عَلَيْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: «كَانَ الْعِلْمُ فِي الْعَرَبِ وسَادَةِ النَّاسِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَصَارَ فِي هَؤُلَاءِ – يَعْنِي النَّبَطَ وَالسَّفَلَ – غَيَّرُوا الدِّينَ» [2]

- ومنهم من لم يكن يحدث سوى أصحاب الحديث ، فلا يحدث العوام ولا السلطان ولا من جاءه من قبل السلطان روى الخطيب في الجامع «وَكَانَ يَحْيَى، يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، يَعْرِفُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ قَدْرَهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ،

---

١ – السابق ٣٢٩١١ .

٢ – السابق ٢٠٤١١-٢٠٦ .

فَإِذَا جَاءَ غَيْرُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَلَعَلَّهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لَا يُحَدِّثُهُمْ، وَيُحَدِّثُ قَوْمًا أُخَرَ عَلَى الصَّدَاقَةِ وَالْمُلَازَمَةِ لَهُ، وَلَا يُحَدِّثُ سَائِرَ النَّاسِ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ مِنْ أَحْسَنِ أَفْعَالِهِ أَنْ يَخُصَّ بِالْحَدِيثِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْعَدْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَهُ وَاحِدًا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يُحَدِّثُ السُّلْطَانَ، وَلَا أَحَدًا مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ، وَلَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عِنْدَهُ قَدْرٌ»١. ويحيى بن سعيد القطان من أعمدة الرواية الكبرى ، ولا يصح بحال أن يطلق عليه وصف العسر ، وكيف يستقيم وصفه بهذا وقد ملأ حديثه الكتب وجاءه الطلاب من كل مكان .

- أو يكون للشيخ المحدث نظرة في الطالب فلا يرى منه احتمالا لكثرة التحديث فيظن به التمنع كما كان أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، قَالَ الدارمي : سَمِعْتُ النُّفَيْلِيَّ، - وَعَاتَبَهُ رَجُلٌ فِي قِلَّةِ مَا حَدَّثَهُ فَقَالَ: حَدَّثْتَنِي بِأَرْبَعَةٍ، وَحَدَّثْتَ هَذَا الْغَرِيبَ بِثَلَاثِينَ - فَقَالَ النُّفَيْلِيُّ: «إِنَّمَا أُحَدِّثُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَمِلُونَ، رَأَيْتُ هَذَا مَوْضِعًا لِمَا حَدَّثْتُهُ، وَلَمْ أَرَ فِيكَ مَوْضِعًا لِأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ أَوْ نَحْوِهِ» ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «أَرَادَ بِالْغَرِيبِ عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ» ٢.
- أو لا يرى في الطالب الديانة الكافية ، فيحمله ظنه هذا على أن يمتنع من تحديثه، روي عن حسين بن علي الجعفي: كنت امتنعت أن أحدث

١ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٠٥)
٢ - الجامع ٣٠٨١١ .

فأتاني آت في النوم فقال: ما لك لا تحدث؟ فقلت: إنهم ليسوا يطلبون به الله تعالى. فقال: حدث أنت، ينفع من نفع، ويضر من ضر ١ .

- ومنهم من كان يضن بالحديث على أهل البدع فيمتنع من تحديثهم كما كان يفعل سليمان التيمي فعن النَّضْر بْن شُمَيْلٍ : " كَانَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ إِذَا جَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ؟ فَإِنْ أَقَرَّ وَإِلَّا لَمْ يُحَدِّثْهُ "٢
- أو يبتلى الشيخ بتلاميذ يضجرونه فيدفعوه إلى التمنع عليهم بكثرة سؤالهم ، قال الخطيب : "وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَحْتَسِبُونَ فِي بَذْلِ الْحَدِيثِ، وَيَتَأَلَّفُونَ النَّاسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ عَنْهُمْ كَرَاهَةُ الرِّوَايَةِ عِنْدَمَا رَأَوْا مِنْ قِلَّةِ رِعايَةِ الطَّلَبَةِ، وَإِبْرَامِهِمْ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَاطِّرَاحِهِمْ حِكَمَ الْأَدَبِ" ٣ .

"روى الزُّهْرِيَّ.عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ:لَوْ رَفَقْتَ بِابْنِ عَبَّاسٍ لَاسْتَخْرَجْتَ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا"وروى.الخطيب.أيضاعَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ ":كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ :فَكَانَ يَخْزُنُ عَنْهُ، قَالَ :وَكَانَ عبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُلَاطِفُهُ فَكَانَ يَغُرُّهُ غَرًّا٤ " .

---

١ – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/٢٢٣).

٢ – السابق ٣٣١١١.

٣ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٢١)

٤ – الجامع ٢٠٩١١ .

وعَنْ هُشَيْمٍ، قَالَ: «كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى سَاءَ خُلُقُهُ» .[1]

كل هذه الأسباب هي صور وأسباب للتمنع في التحديث ، لايصح وصفها بالعسر مطلقا آثرت أن أجعلها منفردة عن الأسباب الرئيسة لكونها مخالفة لها ، فلا يصح الخلط بينهما وإفساد المفهوم بتوسيع دائرة تطبيقه .

١ – المصدر السابق ٢١٨١١ .

المبحث الرابع
أثر العسر في التحديث في إعلال حديث الراوي

العسر أمر طارئ في عالم الرواية يخالف معهود أهل العلم ، ولأن أهل العلم رحمهم الله تعالى كانوا يتنبهون إلى عادات الرواة وسلوكهم وأثر ذلك في الرواية ، وكان العسر أمرا ملفتا للنظر في سلوك الراوي ؛ كان البحث في أسبابه وآثاره أمرا في غاية الأهمية .

هذه الآثار في إعلال المرويات ثبت بعضها من خلال نماذج عملية نص عليها أهل العلم رحمهم الله تعالى ، وقليل منها ذكرته للتنبيه على احتمالية وقوع العلة من هذا الباب ليُتَفَطن له في دراسة حديث الراوي العسر الحديث لئلا تدخله العلة .

الأثر الأول : تكثر رواية الغرائب عنه : لقلة تحديثه ينتقي الطلاب غريب حديثه الذي لا يشارك فيه غيره .

حذر العلماء واشتد نكيرهم على من يقبل على تعلم الغرائب ويترك الحديث المشهور الذي يرويه الناس ، يقول ابن رجب:" وقد كان السلف يمدحون المشهور من الحديث ويذمون الغريب منه في الجملة: ومنه قول ابن المبارك: "العلم هو الذي يجيئك من ههنا ومن ههنا يعني المشهور"[1] " وعن مالك قال:" شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس"،

---

١ – شرح علل الترمذي ٦٢١١٢ .

وعن إبراهيم قال:" كانوا يكرهون غريب الحديث، وغريب الكلام. "[١] ، وقد نقل الإمام أحمد عن مصطلح المحدثين القدامى لمعنى الغريب عندهم فقال:" إذا سمعت أصحاب الحديث يقولون: هذا الحديث غريب أو فائدة، فاعلم أنه: ١- خطأ ٢- أو دخل حديث في حديث ٣- أو خطأ من المحدث ٤- أو ليس له إسناد، وإن كان قد روى شعبة، وسفيان.[٢]وقد نهى الإمام أحمد رحمه الله تعالى طلاب العلم عن تتبع الغرائب ، قال رحمه الله:" لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء"[٣]

قال أبو بكر الخطيب: أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب عليهم كتب الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ، من رواية المجروحين والضعفاء حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنباً، والثابت مصدوفاً عنه مطرحاً، وذلك لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم، ونقصان علمهم بالتمييز، وزهدهم في تعلمه.[٤]

هذا هو منهج العلماء وطريقتهم في التعامل مع الغرائب ، وعامة رواة الحديث تحملوا أحاديث كثيرة ، منها ما شاركوا فيه غيرهم مما كثرت وشاعت

---

١ – السابق ٦٢٢١٢.

٢ – الكفاية ص ١٤٢.

٣ – شرح علل الترمذي ٦٢٣١٢ .

٤ – الكفاية ص ١٤١ .

روايته ، ومنها ما تفردوا به ولم تكثر في الناس روايته ، وأحاديث الراوي العَسِر التحديث المروية عنه عامتها غرائب ، والغريب هو ما لا يشارك فيه الراوي الناس ، ووجه جعل حديث الراوي العسر التحديث غرائب أنه يندر أن يحدث الناس بحديثه ، فيأتي طلاب العلم فلا يحرصون على سماع ما وافق فيه الناس بقدر حرصهم على سماع ما تفرد به عنهم ، فينتخبون من حديثه وينتقون ، ومن هنا تكثر عنه الغرائب ، ويحفظها عنه الطلاب ولا يتلفتون لمشهور مروياته، إذ في انتشارها عند غيره من مكثري الرواية غنية عن التشاغل بها من حديثه عن ما تفرد به ، ولذا كان حرص الرواة على غرائب أحاديثهم أشد من حرصهم على مشهور حديثهم لقلة ما يسمعهم ، وقد تكلم جماعة من أهل العلم في كون العسر من أسباب الانتخاب ، قال الخطيب : " إذا كان المحدث مكثرا وفي الرواية متعسرا فينبغي للطالب أن ينتقي حديثه وينتخبه فيكتب عنه ما لا يجده عند غيره ويتجنب المعاد من رواياته " [1]،وقال النووي وتبعه السيوطي :" (فإن احتاج إليه) أي إلى الانتخاب لكون الشيخ مكثرا وفي الرواية عسرا ، أو كون الطالب غريبا ... (تولاه بنفسه) وانتخب عواليه وما تكرر من رواياته وما لا يجده عند غيره ".[2] ، وقد يتقن الراوي

---

١ – الجامع ١٥٣١٢.

٢ – تدريب الراوي ١٤٩١٢ .

الانتخاب وقد لا يتقن ولذا تكلم أهل العلم في أن المنتخب لابد له أن يكون على دراية وعلم ، أو أن ينتخب له من هو على دراية وعلم في تفاصيل ليس هذا محل ذكرها.[١]

وقد نقل الذهبي عن ابن المديني في ترجمة عبد السلام بن حرب ما يفيد أن الطلاب كانوا يجمعون غرائب الشيخ عبد السلام لعسره في الحديث :" وذلك أنه كان عسرا، فكانوا يجمعون غرائبه في مكان، فكنت أنظر إليها مجموعة، فاستنكرتها" [٢].

ولا شك أن الغرائب مادة دسمة لأحاديث العلل ، وعامة الأحاديث الغرائب لا تسلم طرقها من علل يعرفها الأئمة ، ولذا حذروا منها ومن روايتها أو التشاغل بها إلا لأهل الدراية من الأئمة الكبار الذين اعتنوا بها لكي لا تخفى عليهم إن سمعوها فيدركوا ما فيها من علل .

وإذا كان المحفوظ عن هذا الراوي غرائب وهي لا موافقة فيها للثقات ، كانت مظنة الإعلال في أحاديثه أكثر ، ولذا كان العسر في التحديث أحد أسباب احتمال وقوع العلة في حديث الراوي.

---

١ – راجع الانتخاب عند المحدثين مفهومه وأنواعه وأسبابه وحكمه . دانبيل محمد عبده زاهر – بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الاشراف جامعة الازهر عدد ٢٠١٦.

٢ – سير أعلام النبلاء ٣٦٦١٨.

الأثر الثاني : صعوبة تمييز حال الراوي :

من أهم الطرق التي اعتمدها الأئمة رضي الله عنهم في توثيقهم للرواة وحكمهم على أحاديثهم مدى الموافقة والمخالفة والتفرد عن سائر الثقات ؛ فمن وافق الثقات في أغلب حديثه كان ثقة وحديثه مقبولا باستيفاء الشروط الأخرى ، ومن خالفهم أو تفرد عنهم نظر في هذا الأمر فإن كان الأصل فيه مخالفة الثقات طرحوا حديثه ، ومن تفرد عنهم ؛ فإن كان يحتمل التفرد بكونه ثبت توثيقه من قبل ، وإلا فتفرده مردود ، إلى آخر هذا المبحث الذي تكلم فيه العلماء في مصطلح الحديث. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : إذا شرك أهل الحفظ في الحديث وافق حديثهم.[1]

وقال ابن معين: قال لي إسماعيل بن علية يومًا: كيف حديثي؟ قلت: أنت مستقيم الحديث، فقال لي: وكيف علِمتم ذاك؟ قلت له عارَضْنا بها أحاديث الناس، فرأيناها مستقيمة، فقال: الحمد لله[2] .

قال ابن الصلاح رحمه الله: يعرف كون الراوي ضابطًا بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة، ولو من حيث المعنى لرواياتهم، أو موافقة لها في الأغلب، والمخالفة

---

١ – الرسالة ص ٣٦٩ .

٢ – سؤالات ابن محرز ٣٩١٢ .

نادرة، عرَفنا حينئذ كونه ضابطًا ثبتًا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم، عرَفنا اختلال ضبطه، ولم نحتج بحديثه، والله أعلم.[1]

والراوي العسر المتمنع الذي يضن بحديثه يصعب تمييز حاله ، لأنه في واقع الأمر لم يخرج علمه إلى الناس ليحكموا عليه ، فلا توجد مادة حديثية كافية يستطيع من خلالها العلماء الحكم عليه بواسطتها ، وينظروا فيها بطرائقهم المعروفة ليصلوا فيه إلى قول فصل ، مما يعلق قبول حديثه والبت في أمره بقول فصل .

كما أن كثرة حديث الراوي مقارنة بخطئه هي محل اعتبار عند أهل العلم ، فمن كان كثير الحديث وجل أحاديثه مستقيمة وأخطأ في بعض منها ، احتمل هذا الخطأ اليسير في مجمل مرويه ، بخلاف الراوي العسر قليل الحديث الذي لا يحفظ عنه إلا قليل الحديث ، فإن اجتمع مع هذه القلة خطأ في الأحاديث ؛ كانت نسبة خطئه لصوابه أعلى ، وبذلك يكون الغالب على حاله الخطأ ، فمن روى خمسة الاف حديث أخطأ في خمسين منها ، ليس مثل الذي روى مئة حديث أخطأ في خمسين منها ، فنسبة الخطأ تتفاوت بينهما ، وعلى ذلك يتفاوت الحكم على الراوي ويتأثر بكثرة المروي وقلته ، وهذا أحد آثار العسر في الرواية .

---

١ – المقدمة ص ١٠٦.

الأثر الثالث : أحاديث الراوي العسر الحديث تكون من مظان العلل :

ذلك لأن المادة الحديثية المتوفرة من مرويات الراوي العسير الرواية وإن كانت قليلة إلا إنها غرائب، والغرائب عامتها معلولة ، يجرح راويها ويرد حديثه ، وقد قال علي بن المديني في هذا الشأن ما ذكره عنه الإمام الذهبي في ترجمة عبد السلام بن حرب حيث قال عنه: (قال يعقوب بن شيبة: ثقة وفي حديثه لين، وكان عسرا في الحديث. سمعت ابن المديني يقول: كان يجلس في كل عام مرة مجلسا للعامة، فقيل لعلي: أكثرت عنه؟ قال: نعم حضرت له مجلس العامة، وقد كنت أستنكر بعض حديثه حتى نظرت في حديث من يكثر عنه، فإذا حديثه مقارب عن مغيرة والناس، وذلك أنه كان عسرا، فكانوا يجمعون غرائبه في مكان، فكنت أنظر إليها مجموعة، فاستنكرتها.[1]

فكيف يتأتى الحكم عليه وتمييز مقبول حديثه من مردوده ، بل هذا يجعل عامة أحاديثه مردودة – بعد فحصها – لكونها غرائب ، فكأن الناظر في إسناد حديث وجد فيه رجلا وصف بالعسر في الرواية عليه أن يتنبه لقوة احتمال وقوع علة في الحديث .

الأثر الرابع : حصر مروياته في دائرة الغرائب وتجاهل سائر مروياته :

لكل إمام من الأئمة مشاركة واسعة في الحديث ومن حديثه المشهور الذي شارك فيه الناس ، ومنه الغريب الذي تفرد به عن الناس ، وهذا حاصل

---

١ – سبق عزوه .

عند جميع من كانت لهم عناية بالحديث من أهل الرواية ، والعُسْرُ في التحديث يحمل الطلبة على ألا يرووا غير الغرائب رغبة في الحصول على ما انفرد به الشيخ دون ما شاعت روايته في الناس ، فيتحصل من هذا أن مرويات الشيخ – والتي هي في الأصل أغلبها من المحفوظ الذي شارك فيه الثقات وقليل منها غرائب – انحصرت كلها في دائرة الغرائب ، فيضيع علم الشيخ وينحصر في الغرائب .

وقد اتضح هذا النموذج في قصة ابن المديني رحمه الله تعالى مع عبدالسلام بن حرب ، إذ كان يخرج للعامة مجلسا كل سنة ، وقد جمع الطلاب غرائب حديثه فقط ، فلما كان عسره مانعا من الإكثار من التحديث ، وكان حرص الطلبة ألا يفوتهم ما تفرد به ، كانت محصلة الأمر أن الذي جمع من تراث الشيخ ومرويه وبقي عَلَمَا عليه هي جزء الغرائب الذي جمعه الطلاب ، وضاع تراث الشيخ لعسره ولاهتمام الطلاب بجمع غريب حديثه .

الأثر الخامس : العسر من قرائن التعليل الإسنادية :

لا يستطيع أحد الجزم بأن حديث الراوي العَسِر حديث معلول بإطلاق ، فالإطلاقات ليست من قواعد علم العلل ، بل كل حديث يدرس وحده ، ويتغير حال الراوي من حديث لحديث ، ويختلف الحكم على الحديث تبعا لحالة الراوي في كل حديث ، لكن عسر الراوي بذاته هو قرينة من قرائن التعليل الإسنادية، والقرينة هي : علامات في إسناد الحديث أو متنه يستدل بها على وهم راويه

فيه [1]، والقرينة وإن كانت تدل على وجود العلة لكنها قد تتدفع بقرائن أخرى في نقاش وموازنة بين القرائن ليس هذا محلها ، ووجودها في إسناد يدفعنا إلى ضرورة التدقيق فيما ورد من جهة هذا الراوي ، لوجود قرينة من قرائن التعليل.

ووجه كونه قرينة من قرائن الإعلال أن الإعلال مادام قد حصل لسببه فقد صح وتحقق انطباق مفهوم القرينة عليه، وإن لم يضطرد ذلك في كل صور العسر .

الأثر السادس : العسر في التحديث يؤثر في الحكم على الراوي :

لما كان العسر في التحديث من قرائن العلل الإسنادية ، وكانت أحاديث الراوي العسر التحديث من مظان العلل – على الوجه الذي بيّناه في التفرقة بين العسر الدائم والعسر النسبي– ، لزم بالضرورة أن يعاد النظر في حال الراوي الموصوف بالعسر طبقا لهذه المعطيات وأخذها بعين الاعتبار في الحكم عليه ، فإذا كان الراوي عسرا ، وكانت مروياته محصورة في دائرة الغرائب – لما سبق بيانه من أسباب – ، فإن الحكم على الراوي سيكون من خلال الأحاديث المروية عنه وهي غرائب ومن مظان العلل ، ولذا وجب أن يتمهل الباحث في شأن الحكم على الراوي الموصوف بالعسر في الرواية ،

---

١ – هذا تعريف الأخ الفاضل د:سيد متولي في رسالته الموسومة بـ : "علم علل الحديث دراسة تأصيلية تطبيقية " راجع ص ٢٤٣٥١٥ . وهي رسالة دكتوراه أجيزت من كلية أصول الدين بالقاهرة تحت الطباعة .

فعبد السلام بن حرب السالف سرد قصته قد وثقه ابن معين والترمذي وغيرهما ، ثم بالإمعان والتفتيش الحاصل من علي بن المديني وقفنا على أن أحاديثه منكرة ، وبذا يتغير الحكم على الراوي من التوثيق إلى التضعيف ، ويكون الذي جرحه قد جاء ببينة على جرحه تقضي له بالقول.

الأثر السابع :أن يُعرف الراوي بالعسر في التحديث ، ثم يأتي من يزعم الإكثار عنه فيكذب الراوي بهذه القرينة ويطعن في حديثه وصدقه ، لأن الراوي العسر الحديث قليل الحديث بطبعه ولا يتصور أن يكون قد حدث بقدر كبير يخالف معهود الناس من حاله ، فيكون ذلك قرينة على كذب قائل هذا الكلام أو تدليسه ، وهذا الأثر ليس متعلقا بشخص الراوي العسر الحديث ، لكنه متعلق بالرواة عنه .

وقد وقع هذا لأبي حاتم الرازي عندما سئل عن إبراهيم بن الحسين دِيزِيل وقال له رجل يا أبا حاتم إنه يُذكر أن عنده عن عفان ثلاثين ألف حديث. قال أبو حاتم: من ذكر أن عنده عن عفان ثلاثين ألف حديث، فقد كذب؛ كان عسرا في التحديث، كنت أختلف إليه ثلاثة عشر شهرا، ما كتبت عنه إلا مقدار خمسمائة حديث[1].

والقصد ليس تحقيق القول في إبراهيم بن الحسين بل إثارة الانتباه إلى أن الإكثار أو التفرد عن عَسِرِ الرواية اعتبره أبو حاتم مطعنا في من يدعي ذلك .

---

١ – سير أعلام النبلاء ١٣\١٨٧ .

الأثر الثامن : عسر الرواية يؤدي لنفور الطلاب من الشيخ وقلتهم عنده ، فيقل حملة العلم عن هذا الراوي ، ولهذا الأمر أثر في التعليل من جهة :

أنه قد يقع الراوي العَسِر بسبب نفور الطلبة عنه وسوء أخلاقه وطباعه في دائرة الجهالة مع أنه قد يكون ثقة في نفسه ، لكن لا يثبت توثيقه بإحدى طرق التوثيق فيظل في حيز الجهالة ، أو يتوقف الناس في قبول حديثه لجهلهم بحاله أو لسوء أخلاقه ، فيفوت علمه ويحرم الناس من الخير الذي عنده .

وقد وقع مثل ذلك للسمعاني رحمه الله تعالى ، قال في ترجمة السيد أبو العز الحسن بن الهادي ابن الحسن العلوي من أهل أصبهان :

كان علويا مسنا جليل القدر سمع أبا مسلم محمد بن علي بن مهريزد الأديب وأم الحسن عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية وغيرهما كان شيخا عسر الخلق نكدا غير راغب في الخير اتفق إني قرأت عليه ورقة من حديث أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ عن أبي مسلم بن مهريزد عنه ثم سألني جماعة أن أحضر معهم داره لقراءة شيء من الحديث فامتنعت وكرهت فألحوا علي فوافقتهم فلما دخلنا داره زعق وقال أخرجوا من داري ولم دخلتم داري فقلت إنما جئنا لنقرأ عليك أحاديث جدك ﷺ فذكر كلمة يكفر الإنسان تدوينها فخرجت وما توقفت وتركت الرواية عنه وحزنت على سماعي منه

وكانت ولادته في حدود سنة خمسين وأربعمئة ووفاته في سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة أظن في رمضان.[1]

فقد أدى به العسر إلى أن يترك السمعاني الرواية عنه ، وكان ذلك دأبه وطبعه ، ومن كان هذا حاله كان نفور الطلاب عنه دائما ، وقد يقع بذلك في حد الجهالة التي سبق وتكلمنا عليها .

الأثر التاسع : إذا وقع خلل في عملية التحديث يؤدي لوقوع العلة :

العسر هو سلوك مخالف لطبيعة المحدثين وماجرت عليه مجالسهم في التحديث ، هذا العسر في ذاته هو صورة غير طبيعية أو صورة من صور الخلل بالقياس إلى طبيعة المحدثين المعروفة في التحديث ، وبالتالي هذا الخلل قد يُوقِعُ في عملية التحديث ما يؤدي لوجود علة في الحديث ، كأن تقع العلة في حديث الراوي العسر في التحديث برواية الرواة عنه إذا كان لا يعيد الحديث فيكتب من فات ما فاته فيحدث بالحديث منقوصا ، أو أن يحدث ببعض حديث أو جزء من الإسناد ، أو يحمله ملال الناس على اختصار الحديث ، فيروى عنه الإسناد مرة تامة ومرة مختصرا ، فيُظَن أنه على الوجهين أو أن هناك انقطاعا .

وقد كان بعض العلماء يأبون الإعادة لمن سألهم حتى وإن لم يكونوا من الموصوفين بالعسر في التحديث ، كما فعل الزهري مع مالك حين سأله إعادة حديث سمعه منه فامتنع من ذلك .[1]

---

١ – التحبير في المعجم الكبير ٢١٩١١ .

وعن أبي جعفر بن أبي السري قال: لقيت ابن عقدة بالكوفة، فسألته يوما أن يعيد لي فوتا فامتنع[٢].

وهذا الأمر وإن لم يكن من المظاهر التي تفرد بها الرواة الموصوفون بالعسر في التحديث بل قد يشاركهم فيه غيرهم من غير الموصوفين بالعسر ، إلا أن وجود ذلك في رواية الراوي العسر التحديث أشد، لصعوبة تحديثه فهو بالامتناع والتشدد أسرع مبادرة .

عَنْ أَيُّوبَ قَالَ اسْتَعَدْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ حَدِيثًا فَقَالَ لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أُحْلَبُ فَأُشْرِبُ " [٣]

الأثر العاشر: أن يكون تحديث الراوي بغير صورة السماع المعروفة ، كأن يحدث مذاكرة .

من المعروف أن أهل العلم رحمهم الله تعالى لهم أحوال في مدارسة العلم ، فيعقدون مجالس السماع لقراءة الحديث بغية إسماعه وأدائه للطلاب ، وإذا أرادوا مراجعة محفوظهم أو مدارسته مع عالم آخر سموا ذلك " مذاكرة[٤]".

---

١ – تاريخ دمشق ١٩٨١٣٠ .

٢ – سير أعلام النبلاء ١٢٥١١٦ . ومعنى سؤال أبي جعفر أن طلب من ابن عقدة أن يعيد عليه جزءا فاته سماعه من مجلس ابن عقدة الحديثي فأبى عليه وامتنع أن يعيد عليه ما فاته .

٣ – أدب الإملاء والاستملاء ص ٨٢.

٤ – تعريف المذاكرة : طريقة لمراجعة وتثبيت المحفوظ من الحديث بهيئة مخصوصة .

ولا شك أن هناك فرقا بين سماع الحديث من الشيخ في مجلس السماع – والذي يتلو فيه الشيخ الحديث بكامل إسناده ومتنه مع إيضاح تام لألفاظه– ، وبين المذاكرة التي هي في أصلها مدارسة سريعة للمحفوظ ، فكانوا يمرون على محفوظهم لا على سبيل التمهل والقراءة لكل حديث وإسناد على التفصيل كمجالس السماع ؛ لكن بصورة يكون القصد منها تثبيت المحفوظ ، فيذاكرونه على الأبواب أو يمتحن بعضهم بعضا بالسؤال أو يختصرون الحديث وغير ذلك مما ليس هذا محل التفصيل فيه .

وقد كان العلماء رحمهم الله تعالى يذاكرون إخوانهم من العلماء كما وقع مع أبي زرعة وأحمد بن حنبل حيث قال أبو زرعة لعبد الله كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، قال عبد الله وكيف عرفت ذلك ؟ قال : ذاكرته على الأبواب ، وقد تقع المذاكرة بين الشيخ وتلميذه كما كان يفعل ابن عباس رضي الله عنه مع سعيد بن جبير ، أخرج الخطيب بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ كَانَ يَقُولُ: يَا سَعِيدُ اخْرُجْ بِنَا إِلَى النَّخْلِ وَيَقُولُ: يَا سَعِيدُ حَدِّثْ قُلْتُ: أُحَدِّثُ وَأَنْتَ شَاهِدٌ؟ قَالَ: إِنْ أَخْطَأْتَ فَتَحْتُ عَلَيْكَ . [1]

وقد أعل العلماء أحاديث وكان سبب إعلالها أنها سُمعت مذاكرة ورواها رواتها على السماع ، كما وقع مع يحيى بن معين، فعنه أن قال : لقيت علي ابن عاصم على الجسر فقلت : كيف حديث مطرف عن الشعبي " من زوج كريمته" فقال حدثنا مطرف عن الشعبي ، فقلت لم تسمع هذت من مطرف

---

١ – الجامع ٢٦٩١٢ .

قط، وليس هذا من حديثك ، قال : فأكذب ؟ فاستحييت منه وقلت ، ذوكرت به فوقع في قلبك ، فظننت أنك سمعته ولم تسمعه وليس من حديثك [1].

وقد يقع لبعض الطلاب أن يذاكره شيخه ، أو يذاكر أحدا بحضوره ، فمن تحمل من شيخه حال المذاكرة لا يحل له الرواية على السماع ، فمن روى بالسماع عمن عرف بأنه لا يحدث إلا مذاكرة كانت روايته معلولة ، وكان بعض العلماء ممن وصفوا بالعسر لا يحدثون إلا مذاكرة ، ولذا فالتّنبه لطبيعة رواية هذا الراوي العسر هل من كتابه أم من حفظه أم مذاكرة ضرورة لتجنب الوقوع في الإعلال .

ومن هؤلاء أحمد بن عبد الله بن شانج المطرز: من أهل قرطبة، يكنى: أبا جعفر. قال ابن بشكوال في ترجمته : ولا أعلمه حدث إلا بيسير على وجه المذاكرة. وكان عسر الأخذ، نكد الخلق، وتوفي في سنة أربع عشر وخمس مائة.[2]ومنهم الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فَهُم –بفتح الفاء، وضم الهاء– قال فيه الخطيب: ثقة عسر في الرواية متمنع إلا لمن أكثر ملازمته وكان له جلساء من أهل العلم يذاكرهم ,فكتب جماعة عنه على سبيل المذاكرة. [3]

تلك عشرة كاملة والحمد لله رب العالمين.

---

١ – سؤالات البرذعي ص ٣٩٥ .

٢ – الصلة لابن بشكوال ٦٨١١ .

٣ – انظر: تاريخ بغداد ٩٢/٨. والعبر للذهبي ٨٣/٥. وميزان الاعتدال ٥٤٥/١) .

الخاتمة

أحمد الله تعالى إذ يسر إتمام هذا البحث فهذا محض فضل منه وكرم ، وقد بذلت جهدي في الاتي

- تتبعت أحوال الراوة الذين وصفوا بالعسر واستنبطت من سيرهم ما يخدم فكرة البحث ؟
- وقد حررت في هذا البحث معنى هذه الظاهرة وأسبابها .
- عرفت بأنواع العسر وفرقت بين العسر الدائم والعسر النسبي .
- وبينت آثار العسر في إعلال الروايات ، وأنه من القرائن التي تقوي وقوع العلة في الحديث.

وأسأل الله تعالى أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم وأن يكتب به النفع .

التوصيات:

- يوصي الباحث بضرورة قراءة كتب التراجم واستخراج كنوزها ، فهي ليست سردا لأقوال علماء الجرح والتعديل ، بل تنقل لنا صورة مصغرة عن حياة الراوي وسلوكه وعاداته ، وهي أشبه بوثائق تأريخ اجتماعي لحياة هؤلاء الرواة .
- يوصي الباحث بدراسة عادات الرواة التي ذكرت في كتب التراجم وبحث أثرها على الرواية.

- يوصي الباحث بضرورة توسيع تدريس علم العلل وتدريب طلاب علم الحديث عليه.

والحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

- أدب الاملاء والاستملاء -المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)- المحقق: ماكس فايسفايلر - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠١ – ١٩٨١
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام - المؤلف: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) - المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف- الناشر: دار الغرب الإسلامي- الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م
- تاريخ بغداد- المؤلف : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي- الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
- تاريخ دمشق - المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)- المحقق: عمرو بن غرامة العمروي - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥
- التحبير في المعجم الكبير -الامام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي - سنة الولادة ٢/شعبان/٦٠٥هـ/ سنة الوفاة ربيع الأول/

٥٦٢هـ – تحقيق منيرة ناجي سالم– الناشر رئاسة ديوان الأوقاف– سنة النشر ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م – مكان النشر بغداد

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي –المؤلف : عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي – الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض – تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف .
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد– محمد بن عبد الغني البغدادي أبوبكر ابن نقطة الحنبلي –تحقيق كمال يوسف الحوت – الناشر دار الكتب العلمية– سنة النشر ١٤٠٨– مكان النشر بيروت
- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة – ابن قطلوبغا الحنفي – مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن – الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع– المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) – المحقق: د. محمود الطحان –الناشر: مكتبة المعارف – الرياض
- سنن ابن ماجه– المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني – الناشر : دار الفكر – بيروت– تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
- سير أعلام النبلاء– المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)– المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط– الناشر : مؤسسة الرسالة– الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

- شرح علل الترمذي- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) - المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد- الناشر: مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) - الطبعة: الأولى.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس- المؤلف: أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (المتوفى: ٥٧٨ هـ) - عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني- الناشر: مكتبة الخانجي- الطبعة: الثانية.
- الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي- المؤلف : عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي أبو زرعة[١٩٤ - ٢٦٤]- المحقق: د. سعدي الهاشمي-الناشر : الجامعه الاسلامية - المدينه المنورة-الطبعة : الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
- العبر في خبر من غبر - المؤلف : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي - المحقق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري-المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي- الناشر: دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩.
- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) - المحقق: علي حسين علي- الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
- القاموس المحيط - المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان
- كتاب العين- المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو ابن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر: دار ومكتبة الهلال .
- الكفاية في علم الرواية-المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) -المحقق: أبوعبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني - الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
- لسان العرب -المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- لسان الميزان -المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) - المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند - الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان- الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م .
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه - المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)- المحقق: محمد المنتقى الكشناوي - الناشر: دار العربية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
- معجم مقاييس اللغة - المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - المحقق : عبد السلام محمد هارون - الناشر : دار الفكر
- معرفة الرجال عن يحيى بن معين رواية أحمد بن محمد بن القاسم ابن محرز- المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين (المتوفى: ٢٣٣هـ)- المحقق: الجزء الأول: محمد كامل القصار- الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق- الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- معرفة علوم الحديث - المؤلف : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري- الناشر : مكتبة الفارابي - الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - سنة الولادة / سنة الوفاة ٧٤٨- تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الناشر دار الكتب العلمية.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	ملخص البحث.	٣٧٧٤
٢	المقدمة	٣٧٧٦
٣	منهج البحث	٣٧٧٨
٤	أسباب اختيار الموضوع	٣٧٧٨
٥	الدراسات السابقة	٣٧٧٩
٦	المبحث الأول : مفهوم العسر.	٣٧٨١
٧	المبحث الثاني : أنواع العسر.	٣٧٨٣
٨	المبحث الثالث: أسباب ينشأ عنها العسر في التحديث	٣٧٨٥
٩	المبحث الرابع: أثر العسر في إعلال المرويات .	٣٨٠٢
١٠	الخاتمة والتوصيات .	٣٨١٧
١١	فهرس المصادر والمراجع.	٣٨١٩
١٢	فهـرس الموضوعـات.	٣٨٢٤

تم بحمد الله تعالى